بسم الله الرحمن الرحيم

ضمن خطبة كتابه الاشارة الى مقاصد علم الكلام رعاية لبراعة الاستهلال فبسمل اولا تيمنا ثم قال
الحمد لله العلي شأنه امره وحاله في ذاته وصفاته وافعاله فانه جامع لجهات علو الشأن لا يتطرق الى سرادق
قدسه شائبة نقصان الجلي برهانه بحججه القاطعة التي نصبها دالة على وجود ذاته واتصافه بكمالاته وهي آياته
المنبثة في الآفاق والانفس يجتليها بصائر اولي الابصار وتشاهد بها اسرار ابصر من تصويرها نطاق
الاظهار القوي سلطانه سلطنته ونفاذ حكمه فلا يستعصي على ارادته شيء من الاشياء ولا يجري في ملكوته الا
ما يشاء الكامل حوله قوته المحولة للممكنات من حال الى حال ايجادا وافناء اعادة وابداء الشامل طوله فضله ونو لم
فان رحمته وسعت كل شيء على حسب حاله ثم قرر جميع ما ذكرنا اقتباسا من قوله الذي خلق سبع سموات هي افلاك
الكواكب السبعة السيارة فان الفلكين الآخرين يسميان كرسيا وعرشا ومن الارض مثلهن مثل السموات في العدد
كما ورد في الخبر ان الارض ايضا سبع طبقات وفي كل طبقة منها مخلوقات وما يعلم جنود ربك الا هو وقد
يؤول تارة بالاقاليم السبعة وتارة اخرى بطبقات العناصر الاربعة حيث عدت سبعا لما قدرته متعلق بخلق
وجعل الامر اي حكمه وتدبيره يتنزل بينهن من السماء السابعة الى الارض السفلى بالغ حكمته التي هي اتقانه
واحكامه علما وفعلا وكرم بني آدم ثم نوه به كونه على غيره بالعقل الغريزي بالقوة المستعدة لادراك المعقولات التي
جبلت عليها فطرتهم ويسمى عقلا هيولانيا والعلم الضروري الحاصل لهم بلا اكتساب المسمى عقلا بالملكة واهلهم
جعلهم اهلا وفي نسخة الاصل واهلا على انا وقيل لهم اساسه للنظر وكونه مستندا الى العلوم الضرورية والارتقاء في مدارج
الكمال وذلك بان يترقوا اولا من الضروريات الى مشاهدة النظريات ويسمى عقلا مستفادا ثم تكرر مشاهدتها
مرة بعد اخرى حتى يحصل ملكة استحضارها متى اريد بلا تجشم كسب جديد ويسمى العقل بالفعل وهو وان كان
متأخرا عن المستفاد في الحدوث لكنه وسيلة اليه متقدمة عليه في البقاء وقد يقال العقل المستفاد هو ان يصير النفس
الناطقة بحيث يشاهد معقولاتها باسرها دفعة واحدة فلا يغيب عنها شيء منها اصلا وهذا هو الغاية القصوى
في الارتقاء في الكمالات العلمية ومستقره الدار الآخرة واما في الدار الدنيا فقد يرتجى لحاحته للنفوس المجردة عن العلائق
البشرية ثم امرهم عطف على كرم مع ما عطف عليه وكلمة ثم على معناها الاصلي الذي هو المهلة والمراد انه تعالى
امرهم على السنة الرسل بالتفكر في مخلوقاته واحوالها والتدبر في مصنوعاته واطوارها وفي قوله لنورد بهم
اي التفكر والتدبر فيها معما في حيزه نوعي تفصيل لما اجمله من مباحث الهيولى والاستدلال على حدوثها بالحكماء

في قوله العلي شانه وما يعقبه الى العلم بوجود صانع لان المخلوقات حادثة ولا بد للحادث من صانع قديم لا اول لوجوده
اذ لو كان ايضا حادثا لاحتاج الى صانع آخر فيتسلسل او يدور فيتوقف قائم بنفسه مقيم لغيره فان ذلك لازم لكونه
صانعا حقيقيا حكيم لظهور كمال اتقانه في آثاره الصادرة عنه واحديته صفات كمالية لا شريك له فيها والا
لاختل النظام المشاهد في العالم احد في ذاته لا تركيب فيه والا لكان ممكنا وحادثا فرد لا شفع له من صاحبة او ولد للعدم
مجانسة غيره صمد اي سيد يقصد في الحوائج من صمد يصمد صمدا اي قصده منزه عن كونه اشباه المشاركة له في صفة
والامثال الموافقة اياه في حقيقة ذاته متصف بصفات الجلال اي العظمة فيقال جل فلان اذا عظم قدره وجلال الله
عظمته مبرأ عن شوائب النقص جامع لجهات الكمالات اي في الذات والصفات والافعال غني في جميع ذلك عما سواه
فلا يحتاج الى شيء من الاشياء فيما ذكرناه عالم بجميع المعلومات لما سيأتي من ان المقتضي لعالمية ذاته والمصحح
للمعلومية ذوات المفهومات ولا شك ان نسبة ذاته الى جميعها على سواء فوجب عموم علمه اياها فلا يعزب عن علمه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء اي لا يبعد ولا يغيب عنه اقل قليل هو مثل الذرة فكيف بالزائد المشتمل عليه قادر على جميع
الممكنات لان مقتضي القدرة ذاته ومصحح المقدورية هو الامكان المشترك بينها فوجب شمول قدرته اياها على سبيل
الاختراع والانشاء اي بلا احتذاء مثال يقال اخترعه اي ابتدعه واصل الخرع الشق وانشاء يفعل كذا اي ابتداء يفعل
كذا مريد لجميع الكائنات خيرها وشرها الان وقوع ما لا يريد بل يكرهه كما زعمت المعتزلة يستلزم عجزا المنافي
للالوهية متفرد بمتقنات كمال افعاله المتقنة المحكمة الخالية عن كونه خللا واحاسن كونه سيما وانما اختار صيغة
الفعل اعني تفرد على متفرد تنبيها على انه استئناف يدل على اتصاف ذاته بما ذكر من الصفات فان كمال المتانة الخ
قوله صنع الله الذي اتقن كل شيء يدل على علمه وقدرته وارادته كما اسمائه الحسنى تنبيه عن اتصافه المسمى
بالكمالات والتنزه عن النقائص اذ هي هو اعم من القديم لان اعلام الحوادث ازلية وليست بقديمة وانما ذكره مع
كونه مستغنى عنه بتقديم لنفادة لفظا بدي فانهما يذكران غالبا معا توحد بالقدم والبقاء ربطا بالاول علما ربقاه
بصيغة الفعل توحد بالقدم وذلك لا ينافي كون صفاته الزائدة على ذاته قديمة لانها ليست مغايرة له وربطا بالاول بذلك
توحد بالبقاء فان الباقي بذاته وما سواه انما هو باق به وباد ذاته وفي حكم على ما عداه بالعدم والفناء هو العدم
الطارئ على الوجود فهو اخص من العدم مطلقا له الملك توطئة لما ذكره من صفاته الفعلية وما يتعلق بها وانما
ذكرها بصيغة الفعل لمناسبتها اياها يحيي ويميت من يشاء بقنبه هلاك ويبكي ويضحك وينقص من خلقه
ويزيد لكل ذلك على وفق مشيئته لا يجب عليه شيء من افعاله كما يزعم اهل الاعتزال ولا حاكم فوقه يوجبه عليه تعالى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)